في دروب السبعين

العلامة المرجع
السيّد محمّد حسين فضل الله

1431هـ - 2010م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - حارة حريك هاتف: ٠٣/ ٧٥٥٢٠٠ تلفاكس -٤٥٠٧٦٩/ ٠١

في دروب السبعين

السيد محمد حسين فضل الله

دار الملاك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ التَّامَّةُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين محمَّدٍ وعلى آلهِ الطَّاهرين، وأصحابِهِ المنتجبين، وعلى جميعِ الأنبياءِ والمرسلين.

وبعد...

... هذه هي قصَائِدُ البوحِ والوجد، وقصائِدُ الكشفِ والتأمُّل، وخلاصة العمر، وزبدة الحياة، الَّتي أغناها المرجعُ السيِّد محمد حسين فضل الله بالحُبِّ، وعَبَقِ الإنسانيّة، وغنَّاها نشيدَ خلودٍ وصلاةٍ شكَّلت عروجاً وإياباً لروحِهِ إلى عالمِ الصَّفاءِ حيثُ لا ظلم، ولا حقد، ولا ضغينة، ولا شقاء، ولا تعاسة..

«من دمي... لا من تهاويل حياتي تبدِعُ اللَّهفَةُ أَسـرارَ شكاتي
وتثير الــدَّربَ حوليَ أَنجماً يبعثُ الحُبُّ بها فَجْرَ حياتي
فأضمُّ اللَّحنَ... في تهويمةٍ عذبةٍ تمرحُ فيها أُمنِيَاتي
وعلى روحــيَ من صوفيّتي نَغَمٌ عذبٌ... كأحلامِ سباتي»

... وهذه هي قصائدُ الحياةِ والزَّمن الَّذي «لم يَجْعَلْهُ الشَّاعر – النجفيّ/اللُّبناني لغةً وتُراثاً وفكراً وعقيدةً – مجرَّد لحظات تمرُّ، ولكنَّهُ ملأهُ بكُلِّ معاني إنسانيَّته، حتّى تحوَّلَ الزَّمنُ إلى عنصرٍ من العناصِرِ التي تحمِلُ الإنسانَ في معنى ما يمنحُهُ من حياة... الحياة الَّتي «هي هذه الحيويّة العقليّة والروحيّة، والحركيّة وأساس الوجود الإنسانيّ الَّذي يبحثُ عن فكرٍ ينغرِسُ فيه، وعن مستقبلٍ يصنعُهُ، وعن روحٍ يسمو معها، ويصفو معها» روح تؤوب راضيةً مرضيّةً إلى نعيم بارئها، نقيَّةً لم تعرِف الحِقْدَ، لأَنَّ «الحياة لا تتحمَّلُ الحقدَ، فالحقدُ موتٌ والمحبّةُ حياة» وكُلَّما أحببتَ الحياةَ لتغنيها، وتبدِعَ فيها، «وَتُؤَنْسِنَها» فاضَ وجودُك بكُلِّ أقداسِ الروحِ، وآفاقها وأحلامها:

"وأنا هائمٌ،

وروحي تلتاعُ،

ودنياي، في سَمَاكَ تجولُ...

أَستحِثُ الخُطى إليكَ،

كأنَّ الشَّوقَ في جانِحيَّ، نارٌ

أكولُ...

حملتني روحي إليكَ،

فبارِكْها،



وروحي، كما عَلِمتَ، بتولُ...

سئمت أُفقَها المكبَّلَ بالأغلالِ،

فاقتادها إليكَ، الدَّليلُ...

وتخلَّت،

عن عالمٍ، يمرحُ الإثمُ عليهِ،

ويسرحُ التَّدجيلُ،

لا ترى فيهِ غيرَ،

مَذأبةٍ تعوي،

وكونٍ على الضَّعيفِ يصولُ...»

في دروبِ السَّبعين، يتأجَّجُ هوى الحياةِ في ذات المرجع السيِّد انطلاقاً في ذرى الأحلام، والإيمان الَّذي غَرَسَ في عُمْره عالَماً يزدانُ بالشُّعورِ الحُرِّ، والكلمةِ المسؤولة، والقلق الذي يجعلُ الإنسانَ ينفتحُ وينطلقُ وينمو... ليكونَ «غيباً في الحِسِّ» والواقع، يسعى المرءُ فيه للكشف عن المستورِ، والتأمُّلِ بما يختزنُهُ من غيبٍ وأسرارٍ، وما يحملُهُ من وقائعِ تجارُبَ حياتيَّةٍ إنسانيَّةٍ، ومن ذكرياتٍ تصوِّر الأعمالَ المنقوشة والمنحوتَةَ في ذاكرةِ الحياةِ والوجود...

في دروبِ السبعين «لا يمكنُ للإنسانِ أن يُعلِنَ فهمَهُ للحياة، لأَنَّ الحياةَ ليست مجرَّدَ لوحةٍ مكتملةِ الملامح والجوانب، بل إنَّ الحياةَ تعطي في كُلِّ يوم من خلالِ ما تتمثّل في الإنسان فكراً جديداً، وإحساساً جديداً وشعوراً جديداً، وتطلُّعاً جديداً.. لذلك لن يستطيع أحدٌ أن يزعَمَ لنفسه أنَّهُ استطاع أن يُعلِنَ إكتمال فهمِه للحياة... إنَّني استطيعُ أنَ أقولَ إنّني اغتنيتُ بالحياةِ في الجانبِ المعرفيِّ لكثيرٍ من ركائزها وملامحها وحركِّيتها وصراعاتها وأحداثها، ولكن يبقى من الحياةِ الكثيرِ لِمَا يتجاوزُ العُمْرَ ولِمَا ينفتِحُ على أعمارٍ جديدة، وعلى أجيالٍ جديدة...».

* * *

في دروبِ السبعين...
يطوي الشاعِرُ العبقريُّ عُمْرَ اجيالٍ سالِفَة، وأُخرى لاحقة، لأَنَّ «الشِّعرَ هو الإنسانُ المنفتِحُ على وعي نفسه، ووعي الكونِ والحياة، والشِّعرُ هو الايحاءُ الذي يختزنُهُ الإنسانُ في عمق ذاته ووجدانه، فنحنُ عندما نعيشُ حُبَّ الله، والانفتاحَ على الحياة والإنسان، فإنَّنا نعيشُ الشِّعْرَ أحاسيسَ ومشاعِرَ وآفاقاً ورؤىً وتطلُّعاتٍ، وفي ذلك صفاءُ الحُبِّ، وسموِّه، وتماهيه مع غايةِ الوجودِ الإنسانيّ...

* * *

هكذا أَوحى شُعَاعُ الشِّعرِ للمرجع السيِّد، الآيب حُرّاً نقيّاً من الغُرْبة الإنسانيّة في هذا العالمِ، آمِلاً برضوانِ اللهِ حُبّاً، راغباً في لقاءِ المهيمنِ الخلاَّقِ، مشتاقاً بُلوغَ شاطئ الرحمةِ والسَّلام:

في دروبِ السبعين يُسرِعُ بيَ الـــ خطو فماذا في الملتقى المأمولِ؟
ربِّ عُــدْ بي إليكَ حُـــرّاً نقيّاً طاهِرَ الرُّوحِ كالنسيمِ البليلِ
لأعيشَ الرُّوحَ المندّى برِضوا نِكَ حُبّاً كهينماتِ الأصيلِ..

هكذا تؤوبُ الروحُ..
وترجعُ ذاتُ الطّهارةِ إلى عالمِ قداستها...
بَعْدَ أن أنْسَنتِ الحياة والوجودَ والكلمة. *

(*) تقديم علي رفعت مهدي لديوان في دروب السبعين الصادر عن دار الملاك بيروت حارة حريك ٢٠١٠.

(*) الكلمات بين مزدوجين مقتبسة من حواراتٍ لسماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله.

أهوى الحياةَ (*)

أَهوى الحياةَ انطلاقاً في ذُرى حُلُمٍ يَشُدُّهُ لِحياةِ الوَحيِ إيمَانُ
عَيْشٌ بَسِيطٌ ودُنياً غَيْرُ طامِعَةٍ وعَالَمٌ بالشُّعُورِ الحُرِّ يَزْدانُ

محمد حسين فضل الله

(*) هذان البيتان يلخِّصان مسيرة حياتي الإنسانيّة، وواقِعَ عُمُري، وخلاصةَ تجاربي وتطلُّعاتي وآفاقي.
البيتان على وزن البسيط:
مُسْتفعلِن فاعِلُن مستفعلن فاعِلُن مُسْتَفْعِلُن فاعِلُن مُسْتَفْعِلُن فاعِلُنْ

إِيابُ الرُّوحِ (*)

رَبِّ هذا عُمْري يغيبُ معَ الليـ   ـلِ – ويمضِي إلى المدَى المَجْهُولِ
لحظةً... لحظةً... وأَركُضُ في لهْـ   ـفِ الأَمانِي نحوَ الصَّباحِ البَليلِ
علِّني أَلتقيهِ في صَحْوةِ الشَّمْـ   ـسِ وأَحيَا شروقَهُ في الأَصيلِ
أنتَ أبدَعْتَهُ، كمَا الزَّمنُ اللا   هِثُ، في رِحْلَةِ الفَرَاغِ الأَكُولِ
في دُرُوبِ السَّبعين يُسرِعُ بيَ الـ   ـخطوُ، فماذا في المُلْتقَى المأْمُولِ؟
وأَنَا حائرٌ هُنَا بينَ ذكرى الـ   أمسِ، كيفَ انطوى وَراءَ السُّدولِ؟

(*) القصيدة على وزن الخفيف:
فاعِلاتُنْ مستفعِلن فاعِلاتُن   فاعِلاتُن مستفعِلن فاعِلاتُن

وَأمامي غَدٌ تُخَاتِلُني الأَيَّـ ـامُ فيهِ في غَفْلَتِي وذهُولِي
ربِّ عُذ بي إِليْكَ حُـرّاً نقيّاً طاهِرَ الرُّوحِ كَالنَّسيمِ البَليلِ
لأَعيشَ الرُّوحَ المنَدَّى برضوا نِكَ حُبّاً كهينَمَاتِ الأَصيلِ

الزَّمنُ الهارِبُ (*)

يـا خـيـالاً يُـحـرِقُ الـسِـرَّ (مَرا) بِـدُنْـيَـايَ اشْـتِـعَـالَاْ
ويُـثـيـرُ الآمـنـيـاتِ الـ ـبِيْضَ في قلبي انْـفِـعَـالَاْ
ويـطـوفُ الأُفـقَ الرَّحْـ ـبُ مع الـكـونِ انْـتِـقَـالَاْ
ويضيئُ الأرضَ في لَيْـ ـلِ الـسـمـاواتِ هِـلَالَاْ
أَنـا في كُـلِّ نـجـوى الـ ـحُـبِّ والـفـنِّ جَـمـالا
وبِـعـيْـنـيَّ يـفـيـضُ الـ ـفُـجـرُ بـالـنُّـورِ جَـلَالَا

(*) القصيدة على مجزوء الرَّمَل وتفعيلاتُهُ:
فاعلاتُنْ فاعلاتُنْ فَاعلاتُنْ فاعلاتُنْ.
نُظمَتْ هذه القصيدة إثْرَ الأزمةَ الصحيّة التي أَلَمّت بسماحة المرجع السيِّد، يوم الأَحد تاريخ ١٨ - ١٠ - ٢٠٠٩ مناجياً الزَّمَنَ الهارِبَ، والعُمْرَ الوهم الذي يتَلاشى ويغيب سريعاً.

وبقلبي ينبِضُ الحُـ   ـبُ ويَنْسَابُ انحِلالاَ

يا خَيَالاً يُورِقُ الخضْـ   ـرَةَ في العمرِ تلالاَ

قد يغيبُ الواقعُ المُـ   ـرُّ فَلا يشكو المَلالاَ

وأَرى في العمقِ سِرَّ الـ   ـعُمْرِ وَهْماً وَخَيالاَ

وأُنادِي الزَّمَنَ الها   ربَ مِنْ عُمْري طِوَالاَ

فإذا بي أفقِدُ اليَقْـ   ـظةَ في المَوْتِ ابتِذالا

أنا الغيبُ في الحِسِّ (*)

كمثلِ الحكايا التي تولَدُ الطفولةَ فيها

ويهفو الشَّباب

كقصّةِ فجرٍ أطلّتْ رؤاهُ على الأُفقِ

في عتماتِ الضبَّاب

كمَا الحُلمُ في همساتِ الجفونِ

يُهمهِمُ للشّمسِ

عندَ الغياب

(*) القصيدة على وزن المتقارب:

فعُولن فعُولن فعُولن فعولُن فعولن فعولن فعُولن فعُولن

كما اللَّيلُ يغفو على ساعِدِ الشواطِئ

في هَمْهَمَاتِ العُبَابْ

كما الزّمنُ الحائِرُ المنحَني علَى الكَوْنِ..

في أُمنياتِ السَّرابْ

كما الرُّوحُ تسمُو معَ الغيْبِ

حتّى تُحلِّقَ في رَوْعةٍ وانجذابْ

أنَا هَا هُنَا

استحثُّ الشُّروقَ

ليَشرِقَ قلبي بِسرِّ الشّهابْ

وَأمضي، وَأمضي بعيداً بعيداً

إلى أينَ

يَا غيبُ؟

هل مِن جوابْ؟

هو السرُّ، مهما دفعْتَ الخُطَى إليه

فلن تلتقيهِ الرّغابْ

هوِ الحبُّ

روحٌ ووحيٌ وعمقٌ

وومضَةُ نورٍ

ونجوى عَذَابْ

ويشمخُ أُفقٌ وتركُضُ أرضٌ

ويهتزُّ كونٌ

ويضْرى الخرابْ

ويبقى لعينيّ لمحُ الضّياءِ

يُداعِبُ في الحُلُمِ سرَّ السّحابْ

وأهوي مع العمقِ في الذّاتِ، حِسّاً

وَأمتدُّ وحياً بكلِّ الرِّحابْ

وَأحيا مع الموتِ غيبوبةً

تهذهِدُني بالأماني العذابْ

أنا السِّرُّ تبكي أحاسيسُهُ

وتضحكُ أحلامُه في العَذابْ

غموضي وضُوحٌ

وليلي فجرٌ

ونجْوَاي تفتحُ لي ألفَ بابْ

كَمِثلِ الحكايا التي تلتقي الرؤى الخضرُ فيها

بوحي التُّرابْ...

وينطلقُ الوعدُ في كُلِّ حُلمٍ
كما الحُبُ في كُلِّ قلبٍ مُذابْ..
حضنتُكَ كلمةَ سِرٍّ تغيبُ...
تطوفُ بروحي عِندَ الإيابْ...
ولكنني هائمٌ في الشُّروقِ
أُناجي الجمالَ
وَأحسُو الشّرابْ
وَأحياكَ في السّحرِ يملأُ قلبي
كما العشبُ يبدعُ خضرَ الحُبَابْ...
ويبقى لِذاتي عمقُ الحكَايا
فتهوي القشورُ
ويبقَى اللُّبابْ...

أنا الكونَ

لا يجمدُ الحسُّ فيه

ولا ينطوي في مدَاه الكتابْ

وأنتَ صنعتَ ليَ الكونَ روحاً

تمزّقَ بالوحي كُلَّ الثيابْ...

أنا الغَيْبُ في الحسّ، إنَّ المدَى بعيدٌ

ولكنني في اقترابْ...

هو اللّيلُ يطغَى وتبقَى الدّياجي

تشيرُ إلى الفجرِ عندَ الغيابْ...

شعوري نارٌ وروحي نسيمٌ

وقلبي ربيعٌ وعمري يَبابْ

ويهمسُ لي العشبُ أنَّ اخضرارَ الولادةِ

سرُّ الذّهابْ...

إلى أينَ يا عمرُ، هل من طريقٍ

إلى النّورِ في تلعَاتِ الهضابْ...؟

هو النَّهرُ يحمِلُ سِرَّ الذُّرى...

إِلى العمقِ في همسَاتِ الصِّعابْ...

وتجري الينابيعُ نحوَ البحارِ

في لهفةٍ من وراءِ الشِّعابْ...

ويعدُو بنا الموتُ

في لفتةِ الحياة إِلى الخُلْدِ

في خُطَواتِ المآبْ...

ويبقى الجمالُ على دربِنا

مع العشقِ في غَمرةِ الإلتهابْ...

وأنتَ... وتهمِسُ كُلُّ الشموسِ

هو النُّورُ في عَتمَاتِ الغَيابْ

هو العِطرُ في أُمنياتِ الورودِ

هو النّبعُ في خطراتِ السّرابْ...

هو الحقُّ إن يعبثِ الوهمُ فينا

هو الحِسُّ في الغيبِ

فيِ كُلِّ بابٍ...

وأَنتَ ولا شيءَ إِلَّا هُداكَ

فمِنكَ الثّوابُ

ومِنْكَ العقابُ...

ونمضي... وتهفُو همومُ النّجاوَى

وتهمِسُ – يا ربِّ – هل مِنْ جوابْ؟

وأَنتَ الحقيقةُ في كُلِّ أُفقٍ

نحدِّقُ فيها أَمامَ الحِسَابْ...

محمد حسين فضل الله
١/ ربيع الأول / ١٤١٢هـ
١٠/ أيلول / ١٩٩١

لَفْتَةُ الطُّهْرِ (*)

أُختاهُ

يا عَبَقَ الطُّفُولةِ

في دَمي

وحلاوةَ الإحساسِ

في وِجْداني...

يا لَفْتَةَ الطُّهْرِ

الذي عاشَتْ لَهُ

نَجْوَاكِ

في إيماءَةِ الإيمانِ...

(*) هذه القصيدة نظمها سماحة المرجع عندما بلغَهُ نبأُ موتِ شقيقتِهِ ونجلِها في حادثٍ مروِّعٍ على طريقِ زيارة الإمام الرِّضا في إيران.

وهي على وزن: الكامل وتفعيلاته:

مُتَفَاعِلُن متَفَاعِلُن متفاعِلُن مُتَفَاعِلُن متَفَاعِلن متفاعِلن

يا وحيَ حُبٍّ

حلّقَتْ آفاقَهُ

في الرُّوحِ،

في وعيٍ وفي تَحْنَانِ...

يا شوقَ روحي

للضِّياءِ حملتَهُ

وحياً حريريّاً

على أجفاني...

يا دمعة الحُزنِ

التي

فاضَتْ بِهَا

عيناكِ في إيماءَةِ الأحْزَانِ

يا شَهقَةَ الأَلمِ

العميقِ تَصَاعَدَتْ

أَنفاسُهُ في لهفةِ الأَشجانِ...

أَنتِ الطّهارةُ في الصَّلاةِ!

وأَنتِ في...

وعي الدُّعاءِ

عذوبةُ الأَلحانِ...

في لهفةِ الينبوعِ...

أَنتِ صفاؤهُ...

وعلى اخضِرَارِ

الروحِ!

نبعُ حنانٍ...

نهرُ الذكريات (*)

يَا نهرُ سِرْ... أَنَا فِي ضِفَافِكَ أَجْتَلِي ... صُوَرَ الحَياةِ عَلى الظِّلالِ فُصُولا
وَأَضمُّ فِي كَفَّيَ حُلْمَ شَبِيبَتِي ... غَضًّا يَفِيضُ بِهِ الرَّبِيعُ هَدِيلا
أَنَا فِي ضِفَافِكَ وَالحَياةُ طَلِيقَةٌ ... يَجْرِي بِهَا الأَمَلُ النَّدِيُّ جَمِيلا
أَسْتَلْهِمُ الذِّكْرَى فَيُلْهِبُ خَاطِرِي ... فِكْرٌ يَشُقُّ إِلى السَّمَاءِ سَبِيلا
وَالفِكْرُ فِي لُغَةِ السَّمَاءِ عَقِيدَةٌ ... طَافَتْ لِتَخْلُقَ مِنْ هُدَاهَا الجِيلا

(*) القصيدة تنشرُ - للمرّةِ الأُولى - وهي على وزن الكامل:
مُتَفَاعِلُن متَفَاعِلن متفاعِلن ... مُتَفَاعِلُن متَفَاعِلن متفاعِلن

يَا نَهْرُ سِرْ بَيْنَ الْحُقُولِ وَلَا تَخَفْ ... مِنْ حَاقِدٍ يَدَعُ الْحُقُولَ صَلِيلَا
دَعْنِي أَسِيرُ... وَفِي فَمِي ... تَتَوَاثَبُ الأَنْغَامُ نَشْوَى
وَعَلَى يَدَيْ تَغْفُو الْحَيَا ... ةُ مُنىً وَأَطْيَافاً وَلَهْوَا(*)

* * *

مَاذَا يُضِيرُكَ لَوْ تَرَكْتَ ... الدَّرْبَ يَعْبَقُ بِالنَّشِيدِ؟
وَيُرِيقُ نَفْحَ عَبِيرِهِ ... فَوْقَ الأَزَاهِرِ وَالْوُرُودِ

(*) مجزوء الكامل:
مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ   مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

حَالِي وَحَالُكَ أَنَّ أَحْلَامِي تَسِيرُ عَلَى السَّمَاءِ
ورُؤَاكَ عَفَّنَها الضَّمِيـ ـرُ النَّتْنُ فِي لَيْلِ الوَبَاءِ

* * *

أَنَا وَحْدِي أَجْرِي مَعَ اللَّيْلِ وَالبَذْ رُ يَصُبُّ السَّنَا بِأَعْمَاقِ نَفْسِي
وَعَلَى نَاظِرَيَّ لَمْحُ ابتِهَالا تٍ وفِي خَاطِرِي انتِفَاضَةُ أُنسِي
وَعَلَى وَجْهِيَ المُلَوَّحِ بِالحُزْ نِ نَشِيدٌ يَجْتَاحُ ثَوْرَةَ أَمسِي(*)

(*) وزن الخفيف:
فاعِلاتُنْ مُسْتَفعِلن فاعِلاتُن فاعِلاتُنْ مُسْتَفعِلن فاعِلاتُن

رحلةٌ إلى السّماء (*)

فِكْرَةٌ ضَجَّتْ رُؤَايَ وَطَافَتْ مَعَ الدُّجَى
فَإِذَا بِي عَلَى سَمَايَ أَصْرَعُ اليَأْسَ بِالرَّجَا
هُوَ صَوْتٌ لَمْ تُدْرِكِ الرُّوحُ فِي القَفْـ ـرِ مَدَاهُ، وَلَمْ تُحِسَّ ذُهُولَهْ
دَبَّ فِي جَانِحَيَّ كَالهَمْسِ يَقْتَا دُ إِلى النُّورِ فِكْرَةً مَأْهُولَهْ

(*) منَ القصائد الإبداعية التي تعودُ إلى فترةِ الخمسينات، وقد نوَّع فيها المرجع السيِّد في الوزن والقافيَة. والبيتان على مجزوءِ الخفيف.
فاعِلاتن مستفعلن فاعلاتُن مستفعلنْ

وَيَصُبُّ الحَيَاةَ فِي رُوحِيَ القَفْـ ... رَاءِ نَبْعاً مِنَ الأَمَانِي الجَمِيلَهْ

لِيُثِيرَ الأَعْمَاقَ فِي وَاحَةِ العُمْـ ... رِ، طُمُوحاً لِرِحْلَةٍ مَجْهُولَه

حَيْثُ كَانَ الإِنْسَانُ يَحْتَضِنُ الخُلْـ ... دَ جَنَاحَاهُ فِي ظِلَالِ الخَمِيلَهْ

وَصَدَى اللهِ يَغْمُرُ الرُّوحَ إِحسَا ... سَاً وَوَعْياً بِالفِكْرَةِ المَشْغُولَهْ

وَتَرَاءَتْ حَوَّاءُ فَاضْطَرَبَ الخَطْـ ... وُ، وَزَلَّتْ بِهِ الرُّؤَى المَعْسُولَهْ

وإذا بي أسيرُ فوقَ بِساطٍ   تتهادى بِهِ الرِّياحُ البَليلَه

وَظلالُ الغيومِ تبعثُ في دُنيا   يَ صُوفيّةَ الحياةِ النَّبيلَهْ

والظَّلامُ البَهيمُ يملأُ أعما   قِيْ، ارتياعاً ووَحْشَةً مَخْبُولَه

وَأنا في انطلاقتي أنشُدُ المَرْ   فَأَ، والموجُ يستحِثُّ فُلُوْلَهْ

حاملاً فِي يَدَيَّ قُرْبَانَ دُنْيَايَ   ، إلى هَيْكَلِ الهُدى والفَضِيلَهْ

أيُّ عمرٍ؟ أيُّ ذاتٍ؟
في دروب الخمسين؟(*)

يا لَعسْفِ السِّنين، يبهتُ فيها الـ	ـلونُ تذوي الحياةُ في الأوراقِ
تتهاوى الرؤى، على صخرة المو	تِ تموتُ الأشواقُ في الأحداق
تخجلُ الذكرياتُ – في قلقِ الرّو	حِ – وسرُّ الضميرِ في الأعماقِ
من خطايا الماضي، من العبثِ اللا	هي، من اللّغوِ في حديثِ الرِّفاقِ

(*) القصيدة على وزن الخفيف:

فاعِلاتن مستفعلن فاعِلاتن فاعلاتن مستفعِلن فاعِلاتن

أَيُّ عمرٍ، هذا الذي عاشَ في ذا   تي غريباً في وحشةِ الآفاقِ؟

مُوجَعَ الحِسِّ في مراراتِ أحلا   مِيْ العذارَى في لهفةِ الأشواقِ...

عاشَ بعضَ الطريقِ في رحلةِ الحز   نِ، وما زالَ في الطريق الباقي!

همُّهُ أن يُحدِّقَ النورُ في عيـ   ـنيهِ في أَريّحيةِ الإشـراقِ

ويثيرَ المدى، ففي ضَجْعَةِ العمـ   ـرِ اغترابٌ عن دَمْعَةِ الإرهاقِ

أيُّ ذاتٍ هذي التي تركضُ الأطـ   ـماعُ فيها في أُمنياتِ النِّفاقِ

يأكلُ الشرُّ روحَها، ثُمَّ يُلقي وحيها في مَجامرِ الإحــراقِ...
كيف أسمو وفي تهاويلها السو داءِ، ما يُتعِبُ الضُّحى في المآقي
وعلى كُلِّ خَطوةٍ في مدَاها حيرةُ الشَّوط في امتدادِ السِّباقِ...
غيرَ أنَّ الذُّرَى تُطِلُّ على الوا دي كَما العشبُ في خيالِ السواقي
في التفاتِ الشروقِ للأُفقِ بالنُّعـــ مى، ليهفو للمبدعِ الخلّاقِ
حيثُ طهرُ الروحِ المندَّى بكلِّ الـــ ـــوحي في سلسبيلِهِ الرَّقراق

أنا أهفو وفي حياتي شوقُ الـ ـــعطرِ للوردِ في الأماني الرقاقِ
أنتَ عمري، هَلْ يولدُ الغيبُ في الحِـ ـــسِّ، مع السِّرِّ في مدى العُشّاقِ؟
يا غيوبَ الأســـرارِ نامتْ بعيـ ـنَيّ الدّياجي، وغابَ عنّي رفاقي...
كيف أرنو إلى الشروقِ وقد عا شتْ غيومُ الحياةِ في أعماقي
أنا – يا ربِّ – ظامئٌ يركضُ الينـ ـــبوعُ في روحِهِ وأنتَ الساقي!!!

محمد حسين فضل الله
٢٦/محرم/ ١٤١٢هـ
٦/ آب / ١٩٩١م

فِي دروبِ السبعين (*)

يا لهاثَ الستينِ في خطوةِ السّبـــ ـــعين ماذَا هناكَ: في الأَعمَاقِ؟
عادَ كُلُّ التاريخِ في عمري المكـ ـدودِ ذكرَى تغيبُ في أورَاقي
واستراحَ الشّبابُ في غمرةِ الوجـ ـــدانِ في أَريحيّةِ الأشـوَاقِ
وتوارَتْ طفولةُ الحبِّ في الشَّيـ ـبِ تُنَاغيهِ في الزَّمانِ البَاقي
وأَنَـــا هَا هُنا أعيشُ الرسالا تِ كمَا الضّوءُ في مدَى الآفاقِ
أستحِثُّ الصِّراعَ في ملتقى الفجـ ـرِ وأحياهُ جذوةً في اُحتراقي

(*) القصيدة على وزن الخفيف:
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
(*) وهي من روائع المطوّلات الشّعريّة التي تُعبّرُ عن حالةِ «الكشْف» عند الشّاعِرِ، وعن عمقِ التأمُّلِ والتفكر في أسرارِ الحياةِ وغايةِ الوجودِ.

لستُ ذاتاً تعيشُ للّهوِ في وحـ　　ـي اللذاذاتِ في هوىً واشتياقِ
لا يعيشُ الضَّبابُ في أفقِ أحلا　　مي خَيالاً في غمرةِ استغرَاقِ
أنا في الشَّمسِ توقظُ الصّحوَ في عيـ　　ـنيَّ نوراً يموجُ في الأحداقِ
يا لهاثَ السِّتين هل ترهقُ الرو　　حَ الدياجي مع السنينِ البواقي؟
أوَ تُراني أُثيرُ خطويَ في السّا　　حةِ جرياً في موعدِ الإشراقِ؟
إنّـهـا رحلة الحياةِ مع الـ　　ـلَّـه إلى أين؟ يا امتدادَ السَّواقي؟

رَبِّ، عمري، منكَ امتداداتُ دنيـ ـــاهُ إنْ هَمْهَمَتْ خيُولُ السِّباقِ

أنا أهواكَ، التقي حبُّكَ السَّمْـ ـحَ بروحي في موعدِ الإنطلاقِ

أنا أهوى الحياةَ في دربِ رضوا نِكَ إن أبعَدَ الطريقُ رِفاقي

أعطِني من نَداكَ ما يُخصِبُ الرو حَ ويروي ظمَايَ عبرَ الفِراقِ

يا لَهاثَ السِّتينِ هل يبلغُ السبـ ـعينَ عمريَ بالجهدِ والإرهاقِ...

أعطني العمْرَ للحقيقةِ أجلُو　　هَا بعيداً عن الهَوى والنّفاق

هو كلُّ الطُموحِ لا العبثُ اللا　　هي ولا الزَّيفُ في الوجوهِ الرِّقَاقِ

خطوةً خطوةً متى أَبلغِ الشا　　طئَ يا موجُ في مداي الباقي؟

رحلةَ العمر - يا إلهي - فيضٌ　　من عطايا المهيمنِ الخلّاق

وأنــا ها هنا ابتهالَ خشوعٍ　　«ودموعُ حبيبةٌ في اشتياقي»...!

يا لَطُهر الصفاء

وتمرُّ الغيومُ في الشّمسِ، يا للسّـ ـحرِ يهفُو في أُمنياتِ الغُيومِ
يولَدُ اللّيلُ في النَّهارِ، فللِضَّو ءِ سهومٌ على ارتعَاش النّسيمِ
والمدَى هائمٌ مع السِّر يمتـ ـدُّ على الرَّملِ في رياحِ السُّمومِ
أيُّ كونٍ هذا الذي تلتقي الظلـ ـمةُ فيه بوشْوشَاتِ النُّجومِ
ثُمَّ يهمي الضُّحى من الفجرِ فالأُفـ ـق انفتاحٌ في رقـةٍ وسهومِ

(*) القصيدة على وزن الخفيف:

فاعِلاتُن مُسْتفعِلنْ فاعِلاتن فاعلاتن مستفعِلن فاعِلاتن

ويعودُ الغروبُ، في الشَّفَقِ الحا ... ئرِ يوحي بكُلِّ وحيٍ حميمِ

أيُّ كونٍ، هَذا الذي يولَدُ الإنـ ... ـسانُ فيه من قبضةٍ من همومِ

عاشَ فيها الُترابُ يحمِلُ حزنَ الفـ ... ـجرِ في دمعةِ الظّلامِ البهيمِ

حيرةُ الفكرِ قد تُفتّح عينيـ ... ـها على النُّورِ في المدى المحمُومِ

كُلُّ مأساتِنا ضبابُ الغدِ الحيـ ... ـرانُ في رحلةِ الزّمانِ القديمِ

يا ضفافَ الشطآنِ هل يحضنُ المو   جُ بقاياه في النِّداءِ الرَّحيمِ

هل تُناجي البحارُ في العمقِ وعيَ السَّـ   ـطحِ في لحظةِ العِناقِ الحميمِ

يا جبالَ التاريخ أينَ هي الودِ   يانُ إنَّ المَدى كثيرُ الغيومِ

أين تلكَ السُّهولُ تجري الخيولُ السُّـ   ـمرُ في أرضها وراءَ التُّخومِ

لن يملَّ الزَّمانُ من جريهِ فيـ   ـنا مع الموتِ في الطّريقِ العقيمِ

إنّها قِصَّةُ الحياةِ التي يُو لَدُ فيها الخيالُ عبرَ الجحيمِ
وتُثيرُ المنَى مع اللّهب القد سيِّ في الرُّوحِ في ظلالِ النَّعيمِ
غيرَ أنَّ الوحولَ تُغرِقُ أقدا مي فأهوي على أنينِ كُلومي
يا لَطُهرِ الصَّفاءِ، يا للمدى الرَّحْـ ـب المندّى، يا للفؤادِ السليمِ
حسبُ هذا الحنين، للحبِّ، للأضـ ـواءِ، للشّوقِ في رياحِ السَّمومِ

أنني تـورقُ الرياحين في رو حي وتمتدُّ نُعمياتُ الكرومِ...

أنتَ سِرُّ الصّفاء، يا ربّ، في الكو نِ فهل التقيكَ عَبْرَ سهومي

حلّقتْ بي إليكَ كـلُّ خيالا تٍ وطافتْ بالغيبِ كُلُّ همومي

أنا طفلُ الحياةِ، تبكي أحاسيـ سي فأغفو على العذابِ الأليمِ

ثُمَّ أهفو إلى الحنانِ الذي يهـ مي فينسابُ كالضُّحى في صميمي

قدتَنُوحُ الأحلامُ في حيرتي الظّمْـ ـأى، وتهوي على حصَادِ الهشيمِ

أينَ أينَ الصَّفاءُ، يا ربُّ، هل أَخـ ـسُو بقاياهُ في غيابِ نديمي؟

إنَّها غفوةٌ وتهمِسُ لي الشَّمْـ ـسُ وداعاً في وشْوَشَاتِ النَّعيمِ

ضُمّني ضُمَّني إليك فما زلْـ ـتُ أُعاني من العَذَابِ المقيمِ

حُلُمُ العمرِ أن تذوبَ نجوا يَ بنجواكَ في العطاءِ الكريم

أن تطوفَ الأسرارُ في وعي وجدا ني فأحياكَ في اللِّقاءِ العظيمِ

أنا حسبي، يا ربُّ، أنْ يغسِلَ الحُـ ـبُ خطايايَ في السّماحِ الحليمِ!!

محمد حسين فضل الله

١١/ صفر / ١٤١٢هـ

٢١/ آب / ١٩٩١م

رحماكَ في روحِ أُمّي (*)

وتبقى الحياةْ

وتهربُ مني جمالاتُها

حكاياتُها

في طفولةِ عمري

غنائيّةَ الهدهداتِ الحميمةْ

أراجيحُ روحي التي يشهقُ الضياءَ

بهزّاتِها

ويغفُو العبيرْ

على وحيها الضّائعِ الأمنياتْ

(*) القصيدة على وزن المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن   فعولن فعولن فعولن فعولن

وأمضي

وترحلُ بيَ الذكرياتْ

تغيب طويلاً بوعي الضَّبَابْ

وتشرقُ بسمَة

وألمحُ كلَّ عيونِ الحنانِ

وكلَّ النقاءِ

وكلَّ الصفاءِ

وسرَّ الطَّهارةْ

خيالاً يهلُّ بروحِ الحقيقَة

هي الأمُ

أمّي التي يُورِقُ الخيال بكلماتها

رقةً وعذوَبة

ورؤيا حبيبَةْ

وتفتحُ للطفلِ في غمرةِ الضَّياعِ

دروباً غريبة

وتهفُو وتثغُو

وتحضِنَ – في حيرة النظرات –

طفولتي الهائِمَة

ولثغاتي الحالِمَة

وأحيا مع النظراتِ

وأغفو مع الكلماتِ

وتختصِرُ العُمْرَ ضمّةُ أُمّي

وقُبلةُ أمّي

ولمسةُ أمّي

وإشراقةُ الحبِّ

في روحِ أمّي

فيَا لَلعبيرِ الذي يرشُفُ الضياءَ نديّا

بأجفانِ وردَه

ويا لَلرّبيعِ الذي يُبْدِعُ أخضِرارَ المحبَّة

في كلِّ شدَّة

فينبضُ قلبي بكلِّ الأماني

ويشدو شعوري بأحلى الأغاني

وتنفتحُ اللهفةُ الحانية

علىَ الحسِّ في الليلةِ الشاتيَة

لتنثرَ فيه بقايا الضياءِ

وتوحي له بانفتاحِ السماءِ

على الصحوِ في بسماتِ اللقاءِ

ويمتدُّ في وعيهِ الطِّفلِ سرُّ الشبابِ

عميقاً كعمقِ الجذورِ

التي يغسِلُ النبعَ أعصابَها

وتغفو على السرِّ أهدابَها

وتبقى هناكَ حكايا الليالِي

عن الغدِ في أمنياتِ الدَّوالي

ويشردُ بيَ الوعي

في رحلةِ الشرودِ

إلى الغيبِ في أُفقِ الكلماتِ

وتحمِلني كلمة

للغيوبِ البعيدة

لأحيا هناكَ

بروحي وعقلي

علىٰ ضفةِ النهرِ

رؤيَا جديدة

وتهفُو ملائكةُ الغيبِ

حولي

وأحيا – هناكَ – تسابيحَهُم

وأغرقُ في الموجِ – عبرَ العُبَابِ –

وأبقى يحلّق فيّ خيالٌ

بعيدٌ بعيدْ

ويجذبني للمهاوي السحيقَة

بعمقِ البحارِ

حكايا الترابِ

الذي يغسلُ النبع أقدامَهُ

ويحكي لهُ

في ظلامِ الليالي

أماني الشموسِ التي تمنحُ اللآلئَ في العمقِ

سرَّ الضياءِ

فتحلُّ – في غمراتِ الوحولِ –

بوحي الصفاءِ

وسرِّ النقاء

وأنتِ تطوفين بي

في أغاني الأمومةِ

على كل أفقٍ نقيّ

وفي كلّ وحيٍ خفيٍّ

وفي كلّ طُهرٍ نقيٍّ

مع اللهِ

حيثُ يطوفُ الخيالُ

يحلّقُ... يهفُو

يرقُّ... ويحنُو

ويخشعُ... يمتدُّ في رحلةِ الشهودِ

يعيشُ مع الغيبِ

معنَى الشهادةِ

كما الحسُّ في الرؤيةِ الواعيَة

كما النورُ في الصحوةِ الصاحيَة

وأحيا معَهُ

أذوب معَهُ

ويُفرقني السرُّ في الروحِ

يا للسعادةِ

فلا شيءَ إلَّا هُوَ

ولا عُمْقَ إلاَّ هُوَ

وَأمضِي وأمضِي

هنا وهناك

وأحيا معَ النبعِ

في أمنياتِ البحارِ

وابصرُ كيفَ يُطلُّ النهارَ

وكيفَ تعيشُ الطيورَ

مع الخضرةِ الطّافِرَةِ

على العُشبِ....

فيِ كل هزّة غصنٍ

على زقزقاتِ البلابلِ

وافتحُ عينيَّ

هنَا.. وهناكَ

على صبواتِ الجمالِ

ويشهقُ فيِ داخلي

ألفُ حلمٍ

وألفُ خيالٍ

ويحمِلُني التيهُ خلفَ سرابِ الصَّحَارَى

ويدفعني الليلُ

نحوَ النجومِ البعيدةِ

ويوحي لي الضوءُ عبر الفضاءِ البعيدِ

بأنَّ المسافةَ في رحلةِ السرِّ

في وعي رُوحي

على خطواتِ الوجودِ

طويلَة

وتبعدني عنه غيبُوبَةُ

المتاهاتِ

في ألفِ أفقٍ سحيقٍ

بألفِ حكايةٍ

عن الليلِ في كلِّ كهفٍ مخيفٍ

وعن رحلةِ العمرِ بينَ الضبابِ

وعن زعقةِ الموجِ عبرَ العُبابِ

وأسمعُ كِلمَة

وتقفزُ نغمَة

ويمتدُّ في عمقِ حسّي

لحنُ الصفاءِ

إلى أينَ تمضي...؟

تتيه... تضيعُ!

هنا الفطرةُ الصافيةُ

هنا القصةُ الحانيةُ

هنا في الشروقِ الذي يحمِلُ السرَّ

عبرَ الغروبِ

تعالَ إليهِ

لتلقى لديهِ

معَ الفجرِ

ضمّةَ روح تغنِّي

وبسمةَ حبٍّ

وحنوةَ قلبٍ

وإشراقةً في صفاءِ الصفاءِ

فأحياهُ في لفتاتِ الطفولةِ

في خطواتِ الضياءِ

على هزّةِ المهدِ

في روحِ أُمي

وتُصغي ابتهالاتُها لأنيني

وتخشعُ في همساتِ الصّلاةِ

وأبكي وتبكي

بكاءً يشدُّ بكاءَ

وتحنُو عليَّ

وتهفُو إليَّ

ويبتسُمِ الطِّفلُ فيَّ

وأسمعُ في همسةِ الشُّكر صوْتاً

يرشُّ السعادةَ في كلِّ كلِمَةَ

لكَ الشُّكر - يا ربُّ -

وأعرِفُ بالحِّس.. معنَى الصلاةِ

وسرَّ الدعاءِ

وكيفَ يعيشُ وجودي

وكيفَ يُطلُّ الإلهُ

عليَّ، بآلامِ أُمّي

حَناناً ورحَمةً

وحُبّاً ونِعمَةً

وتبقَى معي الفطرةُ الصافيةُ

فلا شيءَ إلاّ هوَ

ويمضِي الوجودُ ويمضي بغيداً

وتلقاهُ في كلِّ سرِّ العبيرْ

بأحلامِ وردَة

وفي كلِّ معنَى الجمالِ الكبيْر

ففي كلِّ حمدٍ يعيه الوجُودُ

يردّد حمْدَه

تشمُّ تسابيحَهُ في جنانِ الخلودِ

وتحيَا تهاليلُه في غِنَاءِ الوجودِ

وتوحي الطفولَةَ في حضنِ أُمِّي

لهذا الشَّبابِ

الذي اخضَّر فيه الشُّعُور

وعاشَ على هينماتِ العطورِ

وحرّكَ كلَّ خطاهُ

على الدَّرْبِ

في خطواتِ الكهولِ

وتمضي الحياةَ

وتبقى بروحي

كلمةُ أمّي

وغنوةُ أمّي

وتحيَا طفولتي في الكهُولةِ

عبرَ الشبابِ

وأبقى... ويبقى

معي الطفلُ في غمراتِ السنينِ

تهدهِدُهُ الأمُّ في شذْوِهِ

وتحضُنُ عينيه في لهوِهِ

وتدعُو له اللهَ في حَبْوِهِ

وتحميه من خطَراتِ النسيمِ

تُعوِّذُهُ بالإلهِ الرَّحيمِ

فيا رُوحَ أمّي

الذي عشتُ في روحِهِ كلَّ

عمرِي

ويا قلبَ أمي

الذي كانَ يخفقُ في نبضِ

صدرِي

ويا صوتَ أمِي الرخيمَ

بكلِّ حنانٍ

وكلِّ عذوبةٍ

ويا خفقةَ الحُلمِ في لهفةِ العناق

الحميم

ويا كلَّ طُهرِ الينابيعِ

في بسماتِ الصباحِ

ويا ألفَ حبٍّ يهِلُّ الحنانُ

فيخضرُّ قلبي

بروحِ الجنانِ

أنا الطفلُ يحبُو على كلِّ عشبِ الحنَانِ

أفتّشُ في الفجرِ عن وجهِ أمّي

وأبحثُ في الليلِ عن حِضنِ أمّي

وأهفُو إلى النّفحاتِ العِذابِ

في غفوةِ الحُلمِ المطمئنِّ

بسحرِ العذوبةِ في لحنِ أمّي

وأجري هنَا وهناكْ

فِي المكانِ

وفِي اللّامكانِ

وفِي اللّازمانِ

واصرخُ في كلِّ شيءٍ أراهُ

لأسألَ:

في كلِّ حزنِ السؤالِ

وكلِّ دموعِ الضياعِ

وكلِّ لهاثِ الفِراقِ

وكلِّ مدى الغيبِ في غمرَاتِ

الضَّبابِ

وتدمعُ عينِي

ويلهثُ قلبي

ويأكلُني كلُّ جوعِ الحنانِ

إليها

إِلى أينَ يا روحَ أُميِّ؟

❊ ❊ ❊

وماتَتْ...!

وماتَ الذي كان يحبُو!

هناك على صبوات الطفولةِ!

وأحسستُ بالطفلِ يصبحُ كهلاً

يعيشُ إنحناءةَ شيخوختِي

على كلِّ دربِ الضبابِ

الوجوديِّ

مع الموتِ في خاطِراتِ الرقودِ

ولكنّني معَ روحِ الشّروقِ

بقلبي...

وذكرى الطفولةِ في كلِّ دربي

أعيشُ مع الذكرياتِ

وتبقى الحياةُ...

وتهرب مني جمالاتُها

وأغفو

وأبصرُ في الحُلُمِ

في رحلةِ الطيوفِ بعينيّ

جمالاتِ أمّي

ويبقى ابتهالي وكلُّ خشوعي

وكلُّ الصلاةِ

ويحيا معيَ السرُّ سرُّ الأُلوهَةِ

يا ربِّ أنتَ الرحيمُ...

وأنتَ الكريمُ...

لكَ الحمدُ

رُحْمَاكَ

في رُوحِ أميِّ...

وحيداً وقفتَ (*)

وحيداً وقفتَ

وصوتُك يهتزُّ منهُ الزمنْ

ففي كلِّ جيل صدًى هادِرُ

وفي كلِّ أفقٍ هُدىً سائرُ

وروحُكَ توحي وتهتِفُ بالسَّائرينَ

على الجِسْرِ، في مُلتقى العابِرِيْنَ

(*) من روائِع سماحته في الإمام الحسين بن عليٍّ (ع) نظمها تاريخ ١٦/تشرين الثاني ٢٠٠٤، وهي آخِرُ مطوَّلاته الشعَرِيّة، منظَومة علَى وزن المتقارب.

فعُولن فعُولن فعُولن فعُولن   فعُولن فعُولن فعُولن فعولن

هنا النهرُ يجرِي

ليصنعَ في كلِّ صحراءَ نهرَا

ليزرعَ في لهفةِ الرملِ نخلَة

على الواحةِ الناعمةْ

مع النسمةِ الهائمةْ

تعالَوا إليّ

ففي كلِّ جرحٍ نزيفُ دِماءْ

ودعوةُ فجرٍ ووحيِ سمَاءْ

ومستقبلٌ واعدٌ لِلّقَاءْ

وموعدُ حبٍّ وفيضُ دُعَاءْ

تعالَوا إليّ

ففي نبضةِ القَلْبِ يهتِفُ قلبي

وفي خفقةِ الروْحِ يشرقُ دربي

وفي رحلةِ الغيبِ يركضُ دربي

وفي الليل تهمِسُ صوفيّتي

وتخشعُ نجوايَ في قرب ربِّي

هنا القمةُ الشَّامخةُ

هنا الذروةُ الراسخةُ

هنا العمقُ ينفجرُ الخِصبُ ريّاً وخُضرَة

ويمتدُ يجري ويزرعُ في فرحةِ الأرضِ زهرَة

هنا الحبُّ للناس، حبُّ الرّسَالة

هنا العدلُ يصنعُ للكونِ سِرَّ العدالةَ

هنا وحدةُ الأمةِ الهَادِية

وترنيمةُ الخفقةِ الحانية

وسرُّ المناجاةِ في اللحظةِ الواعِيةَ

وأفقَ النبوَّةِ في الحكمةِ الراعيَة

ندائي نداءَ الرسولِ الذي امتزجَتْ

كلُّ ذاتي بذاتِهِ

فكنتُ – كمَا قالَ – مِنهُ كمَا كانَ منِّي

فمنهُ البدايةُ تركضُ في صنعِ أمَّة

تحلِّقُ تسمُو وتفتحُ في كلِّ قلبٍ

حديثَ الرِّسَالة

تجسّدُ إنسانَها في الرِّسَالة

وتصنعُ تاريخَها في العَدالَة

وتمتدُّ في الأرضِ في أمنياتِ الصَّلاحِ

لتُصْلِحَ فكراً

يحرِّكُ في الحقِّ معنَى الضِّياءِ

ويصنعُ جيلاً كمثلِ البراعمِ

عندَ الربيعِ

كمثلِ الورودِ التي تنفحُ روحَ العبيرِ

تعالوا إليّ

فلستُ من الأرضِ في كلِّ معنَى الترابِ

ولم أجرِ في ملتقَى الطموحِ الكبيرِ

ليصنعَ مُلكاً.. ليدفعَ جمهورَهُ للهتَافِ

ليقهرَ روحاً تعيشُ مدَى الحلمِ فوقَ السحابِ

ليسقُطَ حُرّاً

ليستعيدَ النورَ في مقلتيهِ

ويسجنَ عقلاً وراءَ الزنازين في الظلماتِ

التي تصنعُ الليلَ، تجتاحُ روحَ الضياءِ

أنا ابن السماءِ التي تلتقي في معاني العُلّو الإلهَ

لأشربَ منهُ بكأسِ الصَّفاءِ

لأسبحَ في لُطْفِهِ في بحورِ الضِّياءِ

مع الرحمةِ الحانيةِ

معَ القدسِ في الرَّوْعةِ السَّامية

لأصنعَ في الأرضِ معنَى السَّماءِ

على وحدةٍ في انفتاحِ القِيَمِ

ليصعدَ إنسانُها ألفَ قِمّة

تطلُّ على الكونِ حباً ورحمَة

تعالَوا إليّ

إلى العزِّ في موقعِ العنفوانِ

إلى كلِّ حرّيةٍ في امتدادِ الزمان

وحيداً وقفتَ!

وعيناكَ تستشرِفَانِ الغيوبَ

وتنفتحان على ألفِ جرحٍ وجرحٍ

وينزفُ جرحُكَ دماً على التائهين

على ألفِ صحراءَ في التيهِ خلفَ الزمانِ

وكفّاكَ!

يا لَلْعَطَاءِ الذي يُنْزِلُ المطرَ!

ويشربُ منه الظِّماءُ

الذين يشيرون إلى الغيبِ في لهفةِ السؤالِ

عُطَاشى الحقيقة

إِلى أينَ نجري؟

وماذَا لدى الروحِ؟

من صبوات الضياءِ؟

وللوعي صرخةُ جوعٍ يئنُّ بحزنِ الجياعِ

ويفتحُ فاهُ...

ويهفُو إلى السرِّ في العمقِ خلفَ الكهوفِ

وحيداً وقفتَ!

وأنتَ الذي تزحفُ الروحُ عُجْلى إليكْ

تحلّقُ تسمُو تشدُّ الشموسَ إلى

عَلَمٍ من عيونْ...

وتفتحُ للعقلِ أفقَ الحياةْ

ليحيا ويبدعَ فكراً جديداً

ويصنع للكهفِ كوةَ نورْ

ويولِجَ في الليل ألفَ نهارْ

ويطردَ في الفجرِ حسَّ الضباب

وأنتَ هناكَ

تؤذّنُ حيَّ على الفَلاحِ

تعالَوا إليَّ

هنا يا أحبايَ خيرُ العملْ

هنا الثورةُ اليانِعَة

التي تزرعُ الساحَ في ألفِ نخلة...

وتصنعُ في كلِّ صحراءَ نهرا...

يفجرُ في الرملِ روحَ الحياةِ

فيهتزُّ في الدربِ عشبُ المراعي

فيغفُو على حضنِهِ كلُّ راعِ

هنا الأمنَ من كلِّ عَسْفِ الذئابْ

هنا الريُّ والشبعُ في صرخاتِ

الجياعْ

تعالَوا إليّ

لنصنعَ للحبِّ إنسانَهُ

وللعدلِ في الأرضِ ميزانَهُ

وللحقِّ في الفكرِ عنوانَهُ

ونطردَ في الليلِ طغيانَهُ

.. ونلقاكَ – وحدكَ –

فِي مشرِقِ الشَّمسِ نُوراً

يرشُّ على ظلمةِ الحِقدِ حُباً

ويفتحُ للروحِ في الحسِّ دَرْباً

وينبضُ في خَفْقَةِ الوعيِ قَلْباً

هو النُّورُ يا أيُّها السائِرونَ

على صهواتِ الظلامْ

مع التيهِ في اللّامكانْ

وفي اللّازمانْ

هو النُّورُ يفتحُ في العقلِ كَوَّهْ

وفي الليلِ في لسعةِ البردِ جَذوةْ

وفي وقفةِ المجدِ للحقِّ قوّةْ

هو النورُ يا لَهفَةَ الوحيِ عبرَ النبوّةْ

يحدِّقُ بالغيبِ في رحلةِ الشهودِ

ليصنعَ للغدِ دعوةْ

وحيداً وقفتَ

وفي مقلتيكَ تفوحُ الدماءُ

كما الوردُ في روعةِ الربيعِ

يزفُّ العبيرْ

دماءَ الشهادَة

التي تصنعُ الورودَ

لتزرعَ في كل جيلِ الرسالةِ وردَة

لتمضي المسيرةُ

تخَطِّطُ للعزِّ خطَّ الكرامةْ

وتخضِنَ بالحبِّ روحَ الشَّهامَة

وفي الغدِ لِلحَقِّ ألفُ أمَلْ

وفي الفجرِ يصرخُ خيرُ العَملْ

وأنتَ تهدِّدُ تصرخُ يا أيُّها المؤمنونَ

تعالوا إليَّ!

ففي كلماتي سرُّ الحياةْ

وفي خطواتي دربُ النَّجاةْ

وحيداً وقفتَ

وأنت تُخَطِّطُ في الكَلِمَاتْ

لتفتَح للغدِ أفقاً منيراً

يضيءُ بهِ العقلَ للنَّاسِ

حبَّ الحقيقةْ

ليزْحَفَ عِرفَانَه

ويسمُو بتوحيدِهِ في عُرُوج الصَّلاةْ

إلى الله في كلِّ روحِ العبادَةْ

ليطلقَ حريَّةَ الانفتاحْ

إلى الأفقِ الرحبِ في اللَّازَمانْ

وفي اللامكانْ

مع اللهِ في كلِّ وعدِ اللِّقاء

وحيداً وقفتَ

وأنتَ تضمُّ بروحكَ روحَ الوجودْ

وتفتحُ للكونِ نورَ الحقيقةْ

على أُفقِ الحسِّ في الْغَيْبِ في اللّانِهَاية

وتصعدُ في النغمياتِ العذارَى....

إلى قاب قوسينِ أو أدنى

إلى ساحةِ القُربِ

في الفيض حُبّاً ومعنَى

تحلّق كالحلمِ فوقَ السَّحابْ

وتنسابَ عندَ الشروقِ الشّهادةُ

دماً تزعَفُ الروحُ في لحظاتِهِ

فيصبغُ كلَّ الشروقِ بلونِ إحمرارِ

الدِّماءْ

فيوحي بأنّ الشهادةَ سرُّ شروقِ الحَياةِ

وسرُّ غروبِ الشفقْ

ليبقى الزمَنْ

يردِّدُ كلَّ انفتاحِ الجديدْ

على الحبِّ حولَ صعودِ السموّ

إلى الحقِّ في كلِّ دربِ الحَياةْ

بروحيّةِ الزمَنْ

ووَحي خشوعِ الصَّلاةِ

وسرِّ الدعاءْ

كمَا تسجُدُ الشمسُ للهِ

نورِ السَّماواتِ والأَرضِ

فللنورِ في اللهِ كلُّ معاني الضياءْ

وكلُّ امتدادِ الشروق

وكلُّ ائتلافِ الحقيقةْ

في القلبِ

والروحِ في اللّاحُدُود

شمسُ الهداية كُوِّرت(*)

(في رثاء الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفَّى ١٣٧٠ هـ)

قَبسٌ مِنَ الإيمانِ شعَّ فَأَطْلَعَا شَمْسَاً تزيحُ عن الهِدَايةِ بُرْقُعَا
تتفجَّرُ الأحكَامُ مِنْ أضوائِهَا دُرراً بآياتِ الشريعةِ رُصِّعَا
ويفيضُ كالسَّلسَالِ من إشراقِهَا بحرٌ جَرَى فيهِ السَّنَا وتدفَّعَا
طلعَتْ علَى الإسلامِ في ظَلْمَائِهِ فَجْراً تسامَى في المَعارِفِ مَطْلَعَا
حتَّى إذَا أحيَا القلوبَ شُعَاعُهَا أَمداً وكَانَتْ قَبلَ ذلِكَ بَلْقَعَا
غَرُبَتْ فَأَظْلَمَ كلُّ قَلْبٍ بائِسٍ يَأْسَاً وأوشَـكَ فيهِ أنْ يتقطَّعَا

(*) القصيدة على وزن الكامل:
متفاعِلُن مُتَفَاعِلُن متفاعِلُنْ متفاعِلُن مُتَفَاعِلُن متفاعِلُنْ

وبَكى لها أفقُ الرَّشَادِ فأرسَلَتْ عَينَاهُ في شَفَقِ الحياةِ الأَدْمُعَا
روضٌ مِنَ التَّقْوى يَهزُّكَ قُدْسُهُ مَرَحاً فيخلقُ منكَ قلباً مُمْرَعا
ذَبُلَتْ زُهيْرَاتُ الهوَى بفنائه ونمَا بهِ زهـرُ الرشادِ فأَيْنَعَا
يسبِقُهُ مِنْ فيضِ القداسةِ مَنْبعٌ أضحَى بهِ كأسُ المعارِفِ مُتْرَعَا
وهناكَ روحٌ رفرفَتْ في جوِّهِ عُلويَّةٌ تخذَتْ فناهُ المَرْبَعَا
تبدُو به والطهرُ كلَّلَ تاجَهَا نُـوْراً يبدِّدُ فيهِ لَيْلاً أسفَعَا

مذهولةٌ بهوَى الحبيبِ وعندَهَا شوقٌ إليهِ طغَى بهَا وتجمَّعَا
حتَّى إِذَا أذِنَ الحبيبُ بقربِهَا منهُ وأرسلَ وحيَهُ كي تَسْمَعَا
طــارَتْ إليهِ ولِلقَدَاسةِ أنَّةٌ في أُفقِهَا منِهَا الفُؤادُ تصدَّعَا
وهُنَالِكَ المِحرابُ في ترتيلِهَا يختَالُ حيثُ عَلَا بهَا وترفَّعَا
يبدُو وقــدْ بانَتْ عليه كآبَةٌ خَرْسَاءُ أقْسَى مَا تكونُ وأفظَعَا
فيضٌ مِنَ الألطَافِ فاضَ مُزَقْزِقاً كالسَّلْسَبيلِ عَلَى الفؤادِ فأمْرَعَا

قد طابَ منهلُهَ وطابَ مواردًا للشاربينَ وطـابَ منها مَنبَعَا

عَلَمٌ تخيَّرَهُ الإلَـه لِدِينِهِ عِلمًا فكانَ بحفظِهِ مُتولِّعَا

قَدْ شادَ في العِلمِ الشريفِ قَواعِدًا كانَتْ لِطُلَّابِ الحقيقَةِ مَرجعَا

وأبَانَ نهجَ الحقِّ صُبحًا مُشرِقًا ببَيَانِهِ ودَعَـا إليهِ فأسمَعَا

وجرَى على سُنَنِ النَّبيِّ فكفُّهُ كالغَيْثِ بلْ كانَتْ أعمَّ وأنفَعَا

وحنانُه فَسَلِ اليَتامَى مَنْ جَلا عَنهُمْ تَعَاسَتَهم ومَنْ قَدْ أشْبَعَا

سَتَرَاهُمُ والدَّمعُ مِلءُ عيونِهم يَبْكُونَ مُنقِذَهم أسىً وتَوَجُّعَا

بَحْرٌ بِأحْكَامِ الشَّريعةِ زَاخِرٌ يَسْقِي المَواهِبَ مِنْهُ كَأساً مُتْرَعَا
سَعِدَتْ بِه أُمُّ المَعَاهِدِ مَصْدَراً فِي العِلْمِ يروي الظَّامِئِينَ وَمَنْبَعَا
حتَّى إِذا غَاضَتْ مَنَابِعُهُ غَدَا من بعدِهِ روضُ الحقيقةِ بَلْقَعَا
قد كَادَ يُقْفِرُ بعدَهُ لَوْ لَمْ يجِدْ مِن قَادَةِ الإِسلامِ رَوْضاً مُمْرِعَا
شادُوا قواعِدَهُ على أُسُسِ التُّقَى فَسَمَا وطَـالَ بِمجدِهِ وترفَّعَا

أبـا العقيدةِ والعقيدةُ حُـرَّةٌ   قَدْ كُنتَ رَوْضَ رَبيعِهَا والْمَرْتَعَا
فَقَدَتْكَ حُرَّ الرأيِ فيهَا مَا اتَّقى   في اللهِ إنساناً هناكَ ولَا رَعَى
قد شيَّعَتْك وكنتَ خيرَ مُجَاهِدٍ   يهدِي بهَا الدُّنيا طريقاً مَهْيَعَا
ماذَا أقولُ وقدْ خَرِسْتُ ومقْوَلي   ظَـامٍ وقلبي بالمصابِ توزَّعَا
قسَماً بقُدْسِكَ وهي حِلْفَةُ صادِقٍ   رقَّـتْ فـرقَّ لهَا الفؤادُ موقِّعَا

إنَّ الـرَّدَى بكَ قدْ طوَى آمالَنا وأَسَالَ من جمرِ القُلوبِ المَدمَعَا
وطوَى نفُوساً كنتَ بَلسمَ جُرحِهَا في النائِبَاتِ وفِي أَسَاهَا مُوْلَعَا
والمِنبَرُ المثكُولُ وَدَّ بأنَّهُ لَو يستطيعُ مشَى إليكَ فودَّعا
ومعاهِدُ الإِصلاحِ وهِي ثَواكِلٌ تبكِيكَ إِذ قد كنتَ فيهَا مجْمَعَا
هَتَفَتْ بِكَ الأَكوانُ وهْيَ ماتِمٌ وَنَعَتْك والإِسلامُ فيمَنْ قَدْ نَعَى

أعززْ أبا الحسنِ الزكيِّ على الهُدى   أنْ لا تُجيبَ نداءَهُ لمّا دَعا
قد كانَ يعهدُ منكَ قلباً واعياً   في الحادثاتِ وقدْ دَعاكَ فأسمَعَا
ورآك داعيةً لَهُ ومُبشِّراً   فيه وكُنتَ لهُ جَناباً مُمْرَعا
والآنَ عادَ وقدْ توارَى قلبُهُ   في اللحدِ حيثُ طووهُ فيه وأُودِعا
لو لمْ يجِدْ في (المرتضى) عَلَماً بهِ   يسمُو لخرَّ مِنَ الأسَى وتصدَّعا...

ذكرى الغدير(*)

رقّــت فداعبها خيالٌ أزهــرُ   وصبت فسال بدمعتيها الكوثرُ
وغفتْ على نَغَمِ العواطفِ في الهوى   فمضَتْ تبثُّ لها الغرامَ الأسطرُ
عــودٌ تخيّرها الـخـيـالُ يـراعـةً   للشعرِ يلهمُها البيان فتسطرُ
تتفجّر الأوزانُ من أعماقِها   فيسيلُ من بين القوافي عبقرُ
ظمئتْ فأرضَعَها الولاء (محمدٌ)   وجرَتْ فأرْشدَها الحقيقةَ (حيدرُ)
فتراقَصَتْ طرباً على لحنِ الولا   ومضَتْ بآيات الغديرِ تبشرُ

* * *

(*) من روائع السيّد، ومطوّلاته الشّعريّة الإبداعيّة في عيد الغدير الأغرّ، وهي منظومة على بحر الكامل:

مُتفاعلن متفاعلن متفاعلن   متفاعلن متفاعلن متفاعلن

يعودُ تاريخها إلى خمسينات القرن الماضي، في النجف الأشرف، وقد أشار إليها الشاعر الخاقاني في موسوعتِه شعراء الغريّ الجزء الثامن.

عيدَ الغديرِ وأنت فجرُ حقيقةٍ نُشِرَتْ فخلَّدَها الكتابُ الأطهرُ

تتمايلُ الأرواحُ في أقسامِهِ فتروحُ تعبقُ بالشَذى وتعطِّرُ

وترفرفُ الأطيارُ في أغصانِه طرباً وكلٌّ ضاحكٌ مستبشِرُ

حتى الملائكُ أقبلَتْ في موكبٍ للحقّ ترتشفُ الولاءَ فتسكرُ

عيدَ الغديرِ وأنت سرٌّ خالدٌ يوحي لنا الحقَّ الصُّراحَ وينشرُ

نثرَتْ لك الأسحارُ من نسماتِها درراً بآيات الصباحِ تَنوَّرُ

وهفَتْ لك الأرواحُ حيث تطَّلَعَتْ للحقِّ يملأُ جانبيْكَ ويغمُرُ

* * *

حدِّث فأنت من الزمانِ لِسَانُهُ وَأبِنْ لنا الأحداثَ كيف تُصَوَّرُ
وارسمْ لنا صورَ الغديرِ فطَالما جهلتْ به فئةٌ وضلَّ مصوَّرُ
فلقد طغَتْ فوقَ المشاعرِ موجةٌ للجهلِ تنذرُ بالفسادِ فتهدرُ
غمرَتْ عقائدَنا بسيلٍ جارفٍ مما رآهُ وبثَّهُ المستعمِرُ
عيدُ الغديرِ وما تزالُ حثالةٌ في العصرِ تنهى ما تشاءُ وتأمرُ
نظرَت إلى التاريخِ في ظلماتِهِ نظراً تكادُ به الحقيقةُ تسفرُ

* * *

فإذا الغديرُ يشعُّ فوقَ سمائِهِ والقدسُ من أنــوارِه يتفجَّرُ
لكنَّها والجهلَ مـلءَ إهابِها والحقدُ يغلي في الصدورِ ويسعرُ
راحَـتْ تبثُّ سمومَها ممزوجَةً بالشَّهْدِ في فكرِ الشَّباب وتنشرُ
بـرَّاقـةً بالمغريات مليئةٌ بالمخزياتِ وبالهدى تستهترُ
ومضَتْ تحرِّفُه على ما تشتهي أحلامُها ممَا تحسُّ وتبصِرُ
فتولَّدَتْ من بينِ ذلك نزعةٌ أُمـويَّـةٌ فيما تـراهُ وتنظرُ
عيد يسيلَ القدسُ من جنباتِهِ ألَقاً فيغمرُ صفحتيْه الكوثرُ

* * *

شمسَ الرسالةِ في سناها قطبُه		وهُدَى الإمامةِ في سنَاها مِحْوَرُ
جمحَتْ بي الأفكارُ في صحرائِهِ		والنارُ في أحشائِها تتسعَّرُ
والشَّمسُ تسكبُ من سناها حُمْرةً		في مبسمِ الأفقِ الجميلِ وتقطرُ
والأرضُ وهي مجامرُ مملوءةٌ		حمماً تثورُ وبالصواعقِ تُنْذِرُ
تبدو كأحداقِ الصباحِ توقَّدَتْ		جمراً يموجُ كما تموجُ الأبحرُ
فرأيتُ أحداجاً تصفِّفُ منبراً		أسمَى من العرشِ الرفيعِ وأنظرُ
رفّت عليه من القداسةِ هالةٌ		للحقِّ يغْشَاها الجلالُ فتَزْهرُ
وإذا بأحمدَ يرتقي أعــوادَه		فيكادُ من طــربٍ به يتكسَّرُ

* * *

(لو أن مشتاقاً تكلف فوقَ ما في وسعِه لسعى إليه المِنبَرُ)
والمسلمون وحسبُهم إيماءةٌ من أحمدَ مما يقولُ ويُظهِرُ
يتهامَسُون وفي القلوبِ تساؤلٌ وعلى الوجوه تساؤلٌ وتحيُّرُ
ماذا يريد بنا النبيُّ (محمدٌ) والكونَ يلهبُ والعواصفُ تهدُرُ
والصَّمتُ ضاق بهم فأطلعَ صورةً للحقِّ يرسمُها النبيُّ المنذِرُ
خفقَتْ لها الأرواحُ في أعماقِها وتلاقَفتها للخلود الأعْصرُ

* * *

يبدو بها نصُّ الغَديرِ مبيِّناً   أنَّ الوصيَّ هو الزعيمُ الأكبرُ
وتـرى بها علمَ الـــولاءِ يهزُّهُ   الهادي وينشرُهُ الكِتابُ الأطهرُ
والمسلمونَ فمُستَظِلٌّ تحتَهُ   يجري وآخرُ في الضلالةِ يخطرُ
وهناك يظهرُ في الطليعةِ أحمدٌ   ويعودُ حيث يطلُّ منها حيدرُ

* * *

يا سيِّدي والحقُّ وهوَ أشِعَّةٌ   من لطفِ روحِكَ حرّةٌ يتفجَّرُ
تتموَجُ الأفكارُ فيه فموجةٌ   تطغَى عليه وموجةٌ تتأخَّرُ

وتُرفرِفُ الأرواحَ فوقَ سمائِه ظمأى فتنهلُّ من رواه فتصدرُ

والناس والأوهامُ تلعبُ دورَها فيهم قطيعٌ في الفَلا متحيِّرُ

* * *

جحَدوا الحقيقةَ وهي في إشعاعِها أزهى من الفلكِ العظيمِ وأظهرُ

وتجاهلوا نصَّ الغديرِ ففرقةٌ منهم تحرِّفُهُ وأخـرى تنكرُ

لكنَّهم نظروا هناك فأبصرُوا نـوراً يشعُّ من الغديرِ ويُزهرُ

وتطلّعوا للنورِ وهْـوَ ذبالةٌ شعَّتْ فسارَ على هُدَاها الأكثرُ

فإذا (عليٌّ) والهُدَى في موكبٍ للحقِّ يُنذِرُ بالهُدَى ويبشِّرُ
والوحيُ في طربٍ يوقِّعُ نغْمَةً عُلويَّةً فيها النفوسُ تَمَوَّرُ
يبدو فيخرجُ للحقيقةِ صورةً تُجلى على لوحِ الخلودِ وتُنشرُ
يتلو بها سورَ الكتابِ مليئةً بهُدى (عليٍّ) وهوَ صُبحٌ مُسفِرُ
اليومَ أكمَلْتُ الرِّسَالةَ فيكُمُ لَوْلا الوصيُّ ففي هُدَاه تبصَّروا
يا سيدي شكوىً إليكَ يبثُّها حُطَّت قوادِمُه وضَلَّ المنذرُ

* * *

ومضَتْ به الأطماعُ في شهواتِها فالدِّيْنُ من شهواتِها يتأخَّرُ
ومشَتْ به فئةٌ فذاكَ مداهِنٌ فيه وهـــذا جــاهِــلٌ ومُقَصِّرُ
وتلاَقفَتْهُ يدُ النِّفاقِ فتارةً تبني وطــوراً بالفسادِ تدمِّرُ
وتبدَّلَتَ نظمٌ وجاءت أعصرٌ تزهُو فتدعو بالصَّلاحِ وتهدُرُ

* * *

فإذا بهذا الدّينِ لعبةُ لاعبٍ والــحــقُّ مهزلةٌ به يُستهترُ
والأجنبيُّ يــدسُّ فيه مبادئاً منه يعيثُ كما يعيثُ المنكرُ
ويبثُّ فيه من التفرُّقِ بذرةً تنمو على مرِّ الدُّهورِ وتكبرُ

والمصلحونَ وهمْ نيامٌ لا تَرى	فيهمْ فتى بشقا الشعوبِ يفكِّرُ
يتقلَّبون على الحريرِ وعندَهُمْ	شعبٌ يفيضُ البؤس منه ويزخُر

* * *

الخائنون وينكرونَ بلادهمْ	هــذا يسلّمها وذا يتسعَّرُ
والبائعون ضميرَهم بدراهمٍ	تغري النفوسَ ضعيفةً وتغيِّرُ
والشاربونَ من المدامةِ خمرةً	تُغلى بأكبادِ الشُّعوب وتُعصَرُ
والمرتقون كراسياً منصوبةً	باسمِ الرُّعاةِ وبالمظالمِ تُنجرُ
إيهاً أميرَ المؤمنين وشرعةً	قد كُنتَ تــزأَبُ صدْعَها تتآمَّرُ

جـاء النبيُّ بها فوحّد أمّـةً عمياءَ لا تُهدَى ولا تتبصَّرُ

فمضَتْ تزيّنُهَا العقيدةُ مبدأ والحقُّ تاجٌ فوقَ رأسِك يظفَرُ

والـدِّيـنَ قانونٌ تسيرُ بضوئهِ قُدُماً فيهديها الطَّريق فتُبصِرُ

حتَّى إذا رجعَتْ بها أحلامُها للخلفِ عادَتْ في الضلالةِ تخطرُ

ومضَتْ يدُ التفريقِ تلعبُ دورَها فيها وتخلطُ صفوَها فتكدِّرُ تُ

ومبادئ الإلحادِ وهي مليئةٌ بالمغرياتِ مضَتْ تعجُّ وتهدرُ

والمسلمونَ ولا ترى من رايةٍ فيهمِ ترفرفُ بالإخا وتبشِّرُ

عبثَتْ بهمِ كفُّ العدوِّ فأصبحوا للفائزين غنيمةً تُستصغَرُ

وتطَّلعَتْ من بينِهمِ قوميةٌ عصبيةٌ تـردي الإخـا وتدمِّرُ

قوميةٌ عصفَتْ بنا فتفرَّقَتْ منَّا الصُّفوفُ بِهَا وضلَّ الأكثرُ

فكأنَّ في النَّسبِ المعقّدِ نسبةً أعلى من الدِّين الحنيفِ وأطهَرُ

أو أنَّ في الأمجادِ منها مَفْخَراً أسمَى من التقوى بِها أو أفْخَرُ

كلاّ ففي الإسلامِ خيرُ موحِّدٍ فِينَا وفي التقوى نَعزُّ ونَظْهَرُ

وبآلِ بيتِ الوحيِ خيرُ سفينةٍ تجري بنا نحوَ الرّشادِ وتعبُرُ

فولاؤهُم فرضٌ وحبُهُمُ نجىً للخائفين ونحنُ فيه نَفْخَرُ

يا سيِّدي والشِّعرُ وهو عواطفٌ تذكُو فتُنسَبَكَ في الفؤادِ وتُضهَرُ

وذبالَــةٌ من نــورِ قلبٍ ذائــبٍ فيكم ينوِّرُ بالولا ويُطَهَّرُ

لأقــلُّ من أنْ يرتقي لفضيلةٍ فيجيدُ في تصويرِها أو ينشرُ

فلقد سما معناك عنه لأنه عَرَضٌ يُنَزَّهُ عنه هَذا الَجوهرُ

لكنَّما الأشــعــارُ قــربــانٌ بهِ نحظى بِلُطفِكَ عندَهُ أو نَظْفَرُ

فاقبلْ به لحنَ الوفَاء فإنَّهُ ذوبُ القلوبِ ودمعُها المتفجِّرُ

فهرس القصائد

5080609953

دار الملاك
بيروت – لبنان
هاتف 961-1-450769 / 961-3-755200